حلف بغداد (النشأة، وموقف سورية ومصر منه)

إبراهيم علاء الدين، صالح حربلية*

قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين

*طالب دراسات عليا(ماجستير)

الملخص:

حلف عسكري أنشـــيء عام ١٩٥٥م بناءً على إلحاح الولايات المتحـــــدة الأمريكية وبريطانيا حتى يكون ســداً يــحول دون التوسع الشيوعي في بلدان الشرق الأوسط. كانت تركيا والعراق أول الموقعين على ميثاقه في الرابع و العشـــــرين من شـباط١٩٥٥، ثم انضـمت إليهما كل من بريطانيا في الخامس من نيسـان وباكسـتان وإيران.

شـنت مصـر برئاسـة "جمال عبد الناصـر" حملة عنيفة ضـد هذا الحلف، أما ســورية فإنها لو شــاركت في الحلف لانضــمّ إليه عدد من الدول العربية مثل لبنان والأردن، ولكن رفض سـورية الانضـمام للحلف اقتصـر الحلف على العراق الذي بقي الدولة العربية الوحيدة المعزولة عن بقية الدول العربية الأخرى.

أبرز حلف بغداد أهمية موقع سورية، وكشـف أن مصـير الحلف يتوقف على قبول أو رفض الحكومة أو الشعب السوري له، حيث تركزت أنظار العرب والعالم على دمشـق بانتظار قرار الحكومة الرسـمي. انسـحب العراق من حلف بغداد عام 1959، فنقل مقره من بغداد الى أنقرة وعرف عندئذ "بمنظمة المعاهدة المركزية" .

الكلمات المفتاحية: (العراق ، مصر، عبد الناصر، نوري ، بريطانيا ، بغداد)

ورد البحث للمجلة بتاريخ 2015/3/15

قبل للنشر بتاريخ 18 /5/ 2015

Baghdad Pact Upbringing and the Position of Syria and Egypt of It

Ibrahim Alaa Aldin, Saleh HARBALIEH*
Dept. of History, Faculty of Arts and Humanities, University of Tishreen
*Postgraduate Student (MSc.)

Abstract

A military alliance was established in 1955 at the urging of the United States and Britain to act as a dam preventing Communist expansion in the Middle East countries.

Turkey and Iraq were the first signatories of the charter on the twenty-fourth of February 1955, then they were joined by all of Britain on the fifth of April, Pakistan and Iran.

Headed by Gamal Abdel Nasser, Egypt launched a violent campaign against the alliance. As for Syria, it was given that if it had participated in the Alliance, a number of Arab countries such as Lebanon and Jordan would have joined it, but as Syria refused to join the alliance it was limited to Iraq, which remained the only Arab state isolated from the rest of the other Arab countries.

Baghdad Pact highlighted the importance of Syrian location and revealed that the fate of the coalition depended on the acceptance or rejection of the Syrian government or people of it, as the attention of the Arabs and the world was focused on Damascus government's official decision.

Iraq withdrew from Baghdad Pact in 1959, thus it transferred its headquarters from Baghdad to Ankara and was known then as the 'Central Treaty Organization'.

Key words: Iraq, Egypt, Abdel Nasser, Noury, Britain, Baghdad.

Received 15/3/2015
Accepted 18/5/2015

المقدمة

شـهدت مرحلة الخمسـينيات محاولات بين الدول الكبرى لضـمان مصـالحها الاقتصـادية والاسـتراتيجية في المنطقة العربية، وظهرت الخلافات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بين حلفاء الأمس ، وكان الاتحاد السوفييتي ينظر إلى الغرب نظرة شك وحذر على حين كان الغرب يرى أن الحرب أعطت السـوفييت زخماً كبيراً ومدت نفوذه إلى أوروبا الشـرقية وآسـيا وجعلته يشـكل مع الصـين قوة هائلة لا بد من احتوائها ومحاصرتها ومنعها من مد نفوذها إلى أوروبا وآسيا.

أدى هذا الشـك المتبادل إلى ظهور سـياسـة الحرب الباردة التي كان من مظاهرها إقامة طوق يحيط بالمعسكر الاشتراكي.

ركنت القوى الغربية بناءً على ذلك إلى عقد معاهدات ثنائية مع دول المنطقة لذلك ركزت بريطانيا على حليفتها العراق.

يهدف البحث إلى إلقاء الضـوء على هذا الحلف بكافة جوانبه وتحديد موقف سورية ومصر منه.

تكمن أهمية الموضـوع على اعتبار حلف بغداد عام1955م يمثل أهم وأبرز حدث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية على حد زعم بعض السياسيين والدارسين، وهذا الحلف أدى إلى التعجيل بقيام ثورة14تموزعام 1958م في العراق.

وفي هذا البحث تم اتباع المنهج التاريخي التحليلي الاسـتقرائي لقراءة الأحداث ومعرفة سـلبياتها وإيجابياتها، وتحليل الأفكار بهدف الوصـول إلى الحقائق التاريخية، في فترة عدت حساسة ودقيقة في تاريخ سورية ما بعد الاستقلال، لكثرة الأحداث التي شهدتها آنذاك.

حلف بغداد عام 1955م النشأة وموقف مصر وسورية منه :

لم يكن حكام العراق هم الذين يسـعون وحدهم إلى ربط بلادهم بالأحلاف الغربية، فقد أخذت دولتان جديدتان تتدخلان في سياسة المشرق العربي هما الجمهورية التركية والولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى بريطانيا.

شعرت تركيا بالخوف من الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث سعت لإيجاد حلفاء لها من بين جيرانها، فأصبحت تنظر إلى حكام العراق الموالين للغرب كحلفاء طبيعين لها، وكذلك تخلت الولايات المتحدة عن سياستها التي كانت تمتنع فيها عن التدخل في شؤون المنطقة، مكتفية بالنشاط الاقتصادي، وأصبحت تنافس بريطانيا في إدارة الشؤون السياسية ، تصور الأمريكيون أن الرأي العام العربي يمكن أن يتقبل التحالف مع الولايات المتحدة دون التحالف مع بريطانيا التي ليس لها ماضي استعماري لفكرة التحالف مع بريطانيا[1].

ركزت الولايات المتحدة وبريطانيا في دعايتها لهذا الحلف على فكرة [الدفاع المشرك عن الشرق الأوسط] ضد التغلغل السوفييتي، ومنع تسلل الأفكار الشيوعية إلى البلدان التي ستنضم إلى الحلف، ولقداستفادت من تخلف بلدان المنطقة فوعدتها بالمساعدات العسكرية والاقتصادية حيث وجدت هذه الدعاية صدىً كبيراً في تلك البلدان، لخوفها من انتشار الأفكار الشيوعية بين شعوبها[2].

كانت تركيا تتلقى مساعدات أمريكية منذ عام 1947م، وكان وقوفها كقاعدة معادية للشيوعية أمر لا مجال للشك فيه، ثم ازداد التأثير الأمريكي على إيران بشكل كبير نتيجةً للأزمة البترولية، وعندما تسلمت حكومة الجنرال زاهدي المؤيدة للغرب السلطة في إيران حصلت على سيل عظيم من المساعدات الأمريكية، وفي باكستان أدت المساعدات الكبيرة من القمح الأمريكي إلى ايقاف مجاعة وشيكة في الباكستان، ومن هنا أملّت الولايات المتحدة من بلدان"الحزام الشمالي" في تقوية دفاعها المشترك.
إن شكل هذا المخطط برز في الثاني من نيسان 1954 عندما وقعت إتفاقية تركية باكستانية اتبعت في التاسع عشر من أيار بإتفاقية تعاون عسكري بين الولايات المتحدة وباكستان، ووعد العراق بأنه سيستلم مساعدات أمريكية عسكرية[3] وعندما أوشكت المعاهدة البريطانية ــ العراقية لعام 1930م على نهايتها، شجعت بريطانيا العراق على الدخول في الحلف للحفاظ على النفوذ البريطاني في المنطقة، وللحد من التعدي الأمريكي على قواعدها في الشرق الأوسط [4] أدرك"نوري السعيد" أن بقاء العراق عضواً في الجامعة العربية لن يحقق له فرصة الظهور بمظهر الدولة القوية الكاملة

السيادة، إذ ستظل مرتبطة بما تجمع عليه جامعة الدول العربية ولاحتوائها الأقطار العربية الموالية لبريطانيا ومن ضمنها العراق والاردن، بالإضافة إلى اهتمام مصر بالشؤون العربية بعد الحرب العالمية الثانية قد سلب السياسيين القدماء ومنهم نوري السعيد دورهم الذي كانوا يقومون به من قبل، ورأى السعيد بأن انضمام العراق للحلف سيحرره من الالتزامات العربية، وإن تحالفه مع الدول الغربية القوية يجعل العراق يشعر بالمساواة بالحقوق والالتزامات مع الدول الكبرى المشتركة فيه، ويجعل صوت العراق مسموعاً في السياسة الدولية [5] ومن ناحية أخرى كان جمال عبد الناصر يخشى إذا ما حصل العراق على كميات كبيرة من الأسلحة إلى جانب ما يمتلكه من مصادر بترولية غنية سيزيد من قوته العسكرية ويصبح العراق القوة العربية المسيطرة، عندئذ ينتقل مركز الثقل السياسي في المنطقة من القاهرة إلى بغداد، بالإضافة كون العراق عضواً في الجامعة العربية فإن ذلك يعرض حياد الجامعة للخطر، ويورط الدول العربية الأخرى في نزاعات حلف شمال الأطلسي إذا ما تورط العراق نفسه.

رأت القاهرة أن الإنكليز الماكرين بعدما أرغموا على التخلي عن قواعدهم في مصر، يحاولون العودة إلى المنطقة العربية عن طريق العراق، وأن سياسة نوري السعيد سوف تؤدي إلى انقسام الدول العربية، وبذلك يتسنى للاستعمار كما كانوا يخططون دائماً من أن ينفردوا بالدول العربية الواحدة تلو الأخرى ويفرضوا إرداتهم عليهم [6]، وأدرك الرئيس عبد الناصر أهداف الحلف الخفية المتمثلة في إيهام العرب بالخطر الشيوعي على المنطقة(دون الخطر الصهيوني)، ورأى فيه محاولة عراقية ـــ غربية لعزل مصر عن آسيا العربية، فاتبع سياسة ترمي لمنع انضمام الدول العربية إليه و بخاصة سورية [7].

لا شك أن سعي بريطانيا للحصول على نفوذ لها في المنطقة، يعيد لها مكانتها التي فقدتها فيها نتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى نشوة الاحساس بأنها ما زالت قوة استعمارية، وأن وجود القوات والقواعد فوق الأراضي العربية يؤمن لها حماية مصالحها البترولية في شرقي المتوسط [8] حيث ذكر"فريد جعفري" مدير الاستعلامات لشؤون الشرق الأوسط في حكومة باكستان قائلاً:" من

الذي انشـــأ الجامعة العربية؟ إنهم الإنكليز، وماذا حدث بعد هذا؟ حدث أن تيقظت الشـعوب وأصـبحت الجامعة سـلاحاً ضـد الإنكليز يخدم القضـايا العربية ويناصـر الشـــعوب العربيـة ويقف في وجـه الإنكليز في كـل ميـدان دولي"، وهكـذا حلف بغداد...أنشـــأه الإنكليز والأمريكيون وارتبطت به أمم متأخرة اقتصـــادياً لتســـتفيد من المعونة الاقتصادية [9]، وعندما نوقشت أنباء العرض البريطاني على العراق لأول مرة بعث عبد الناصر في شهر آب 1954م وزير الإرشاد القومي صلاح سالم إلى العراق ليبحث عن وسائل تحسين العلاقات المصرية ـ العراقية التي تعرضت للفتور بعد إقامة الجامعة العربية عام 1945م.

اجتمع "صـلاح سـالم" مع "نوري السـعيد" رئيس وزراء العراق والوصـي على العرش"عبد الإله" في مصـيف سـرسـنك الجبلي الواقع شـمالي العراق وعندما بدأت المفاوضـات أوضـح "صـلاح سالم" معارضـة مصـر للحلف، خوفاً من تورط العراق في حلف شـمال الأطلسـي[6] وتصـميمها على تبني سـياسـة متحررة من القيود الأجنبية واقترح إقامة منظمة دفاعية عربية بقيادة موحدة واسـتراتيجية واحدة، بينما كانت وجهة النظر العراقية في الانضـــمام لميثاق بغداد للحصـــول على الســـلاح لمجابهة الخطر الشيوعي والتوسع الصهيوني ومقاومة الأطماع التركية الإقليمية في سورية والعراق.

ادعى "نوري السـعيد" أنه "أقنع صـلاح" سـالم بإعادة النظر في ميثاق الأمن الجماعي العربي لتقويته وتحويله إلى أداة فعالة، تمكن البلدان العربية من التصـــدي لأي خطر يتهددها، و بضـــرورة الاتحاد بين ســـورية والعراق لإقامة جبهة شـــرقية متماسكة ضد إسرائيل، أما سالم فقد نفى هذا التفاهم وقال بأن المباحثات لم تتعد حدود تبادل وجهات النظر[10]، وافق الســـعيد مبدئياً على اســـتبعاد تركيا خوفاً من طمعها بالموصـــل و من تكرار مأســـاة الإســـكندرونة إلا أنه ســـخر من فكرة الدفاع العربي المشـــترك على حد زعمه بأن الدول العربية مثل الســـعودية أو اليمن لا تملك جيوشـــاً على الطراز الحديث، لذلك فهي لا تستطيع الاستغناء عن مساعدة الغرب، وبناءً عليه فإنه عند إقامة منظمة دفاعية عربية لا بد وأن تسـتشـار بريطانيا والولايات المتحدة في أمور تســـليحها[1]. وفي ختام المباحثات أكد صـــلاح ســـالم بأن رئيس وزراء العراق

سيزور القاهرة للتباحث مع عبد الناصر في قضايا المنطقة، وأجاب صلاح على سؤال عن موقف مصر في قيام اتحاد بين دولتين عربيتين أو أكثر فقال:" إن مصر لا تمانع في قيام أي نوع من الوحدة، فإذا رغب البلدان أو أكثر في الاتحاد فإن مصر لن تمانع، ومن المحتمل أن نتفق نحن العرب جميعاً على الدفاع عن بلادنا و المحافظة على وجودنا [3].

حمل السعيد الوفد المصري رسالة شخصية مكتوبة لتسليمها لعبد الناصر، تضمنت استعداد العراق لتجميد عضويته في ميثاق بغداد في حال تقديم القاهرة مشروع معاهدة عسكرية تضمن للدول العربية القوة والسلاح لدرء الخطر الصهيوني والخطر الشيوعي الذي أخذ يتغلغل في بعض الدول العربية ومنها سورية.

لكن البيان العراقي ـــ المصري المشترك أزعج الرئيس عبد الناصر، وأغضبه عدم كفاءة مبعوثه صلاح في اجتماع سرسنك، وعندما عاد صلاح إلى القاهرة أوقفته أجهزة الأمن المصرية في المطار تنفيذاً لتعليمات مشددة من عبد الناصر.

أعلن عبد الناصر لسفير العراق بمصر أن بيان سرسنك يتعارض مع سياسة مصر إزاء الاستقلال الوطني [11]، وفي الخامس عشر من أيلول قام نوري السعيد بزيارة مصر واجتمع مع الرئيس عبد الناصر، وخلال الاجتماع كان إصرار السعيد على التحالف مع الغرب لأنه الوسيلة الوحيدة للمحافظة على وحدة العراق واستقلاله ولقناعته بأن الاعتماد على الجيوش العربية للدفاع عن المنطقة وهم وحماقة.

أكد عبد الناصر على رفض التحالف مع الغرب، وأن ميثاق الأمن الجماعي العربي هو الأساس الوحيد لتنظيم الدفاع عن البلاد العربية... انتهى هذا الاجتماع التاريخي إلى القطيعة بين مصر والعراق، فقد اتجه السعيد على أثره إلى لندن حيث اجتمع مع أنتوني إيدن رئيس الوزراء البريطاني للتباحث في الحلف المقترح، بعد ذلك توجه إلى أنقرة فعرض على الحكومة التركية مشروعه الذي يقضي بصرف النظر عن توقيع تركيا للحلف التركي ـــ الباكستاني، وعقد اتفاقية ثنائية مع الدول العربية منفردة بدءاً من العراق، وتقوية ميثاق الأمن الجماعي العربي بإدخال تركيا ومساعدة بريطانيا و الولايات المتحدة [10]، ولم يمض على ذلك شهر حتى كان راديو صوت العرب بعد

توقيع اتفاقية الجلاء (المعاهدة الأنجلو ـــــــــــ المصرية) في ليلة التاسع عشر من تشـرين الأول عام 1954م، يدعو الشـعوب العربية إلى أن تحذو حذو مصـر وأعلن الراديو: " أن مصر حققت هذا الهدف في غضون عامين فاستمع إليها وهي تقول إنه لايمكن الدخول في أحلاف إلا مع العرب...أخي المطاطئ الرأس في العراق...أخي على حدود فلسـطين وفي الأردن وفي شـمال إفريقيا، عليك أن تتذكر العاميين الماضـيين عندئذ سـترفع رأسـك في عزة وكرامة، فالعراق...يتحرر بتحرير مصـر، ولسوف يرغم الامبرياليون إلى السعي إلى صداقتكم...ارفع رأسك ياأخي فقد حقق لك النصر أخوانك العرب المصريون " [6].

في الثاني عشـر من كانون الثاني 1955م زار "عدنان مندريس" رئيس وزراء تركيا بغداد على رأس وفد رسمي، و عقد اجتماعات مكثفة مع "نوري السعيد" وصدر بيان مشـترك جاء فيه: " إن تركيا والعراق قد اتفقتا على توقيع ميثاق دفاع متبادل في أقرب فرصـة، وأنهما يأملان أن تنضـم إليهما دول أخرى في المنطقة وأنهما سـيبذلان قصارى جهدهما لمحاولة إقناع هذه الدول للتوقيع على هذه المعاهدة "[11].

قامت الحكومة التركية بعد يومين بمحاولة لإجبار سـورية للانضـمام إلى الإتفاقية المقترحة، فجاء إلى دمشـق وفد حكومي تركي في الرابع عشـر من كانون الثاني 1955م برئاسـة مندريس رئيس الوزراء التركي، وأثار وصـول هذا الوفد مظاهرات احتجاجية كبيرة في حلب ودمشـق، وطالبت هذه المظاهرات بالامتناع عن الانضـمام إلى المعاهدة وبمغادرة مندريس، وأعلنت الحكومة السـورية أنه لم تجر أية مباحثات لعقد حلف عسكري[12].

لم يكن لدى عبد الناصر الرغبة أن يرى ارتباطاً تركياً ـــــ عراقياً وراء ظهر سورية، لأنه إذا استطاعتا أن تجرا سورية إلى صفهما فسوف تذهب عمان وبيروت إلى هذا الحلف، ولذلك دعت مصـر رؤوسـاء الحكومات العربية إلى الاجتماع في القاهرة لمناقشة هذا الأمر الخطير[5] تم عقد المؤتمر لمناقشة السياسة العراقية لعزمها على توقيع حلف دفاعي مع تركيا، وشـهد المؤتمر أعنف صـراع بين العراق ومصـر على زعامة الدول العربية، وكان الرئيس عبد الناصر ممثّل مصر في المؤتمر واعتذر

"نوري السعيد" عن حضور المؤتمر بحجة المرض ولكنه عاد وأرسل بدلاًعنه فاضل الجمالي، مثلّ سورية في المؤتمر رئيس الوزراء فارس الخوري ووزير خارجيته فيضي الأتاسي وتحولت المناقشات خلال المؤتمر إلى مشادات[10]، وألقى الرئيس عبد الناصر كلمة في جلسة الافتتاح حمل فيها بشدة على نوري السعيد ، ووصف ميثاق بغداد بالحلف الغربي الاستعماري، طالباً من الوفود العربية التنديد بالحكومة العراقية لانحرافها عن معاهدة الدفاع العربي المشترك، والتخلي عن القضية الفلسطينية وطلب من الوفود العربية وخاصة الوفد السوري عدم الانضمام لهذا الميثاق، طلب الخوري خلال الجلسة الكلام ليوضح الموقف السوري فخاطب عبد الناصر قائلاً: " نحن في سورية أبعد الناس عن الانضمام إلى ميثاق بغداد، لأننا دولة مستقلة استقلالاً تاماً، ولا تربطنا بأية دولة أجنبية أية معاهدة ولا أي اتفاق، ونحن لسنا بحاجة لمن يحمي استقلالنا لأننا قادرون على الدفاع عن أنفسنا[11].وأن لسورية حدوداً طويلة مع العراق وتركيا وأنها حريصة على علاقات حسن الجوار ولا استطيع أن ألزم سورية بأي حلف قاهري مالم يعرض على مجلس النواب [14] أما طلبك التنديد بحكومة العراق فلا نراه لائقاً، لأن العراق أعرف منا بما يلائم وضعه لأننا لم نطلع على مواد ميثاق بغداد الذي لم يوقع حتى الآن، وعندها انزعج الرئيس عبد الناصر من كلام الخوري واعتبره تحيزاً للعراق و تمهيدا لانضمام سورية إلى الحلف الغربي وعندها أجابه الخوري قائلاً:" ياسيادة الرئيس نحن في سورية دولة ديمقراطية برلمانية وحكومتنا مقيدة ومراقبة من المجلس النيابي المنتخب من الشعب (لا كغيرها من الدول العربية)كما أننا لا نستطيع عقد اتفاقات لايرضى عنها المجلس" بقي عبد الناصر مصّراً على طلبه من رؤساء الحكومات العربية التنديد بحكومة العراق، لكن الوفود العربية لم توافق على طلبه، لذلك اعتبر عبد الناصر أن الخوري هو السبب في عدم اتخاذ قرار عربي بالتنديد بالعراق[11]

تكلم فاضل الجمالي المبعوث العراقي قائلاً:" إن الجامعة العربية لا تستطيع الدفاع عن العراق وأن مساندة الأمريكيين والبريطانيين أمر جوهري، وإذا كان هذا التأييد ينطوي على بعض القيود فعلى العراق قبولها، وزعم بأن السياسة الأمريكية

ســـوف تتغير نتيجة وجود أيزنهاور في البيت الأبيض، وأن الرئيس الأمريكي أكّد له شـــخصـــياً بأن الولايات المتحدة لن تؤيد الصـــهيونية، بل أنها تفضـــل التعاون مع العرب[6]، ثم اقترح "برهان الدين باش أعيان" ـــــ وزير الخارجية العراقي ـــــ خلال المؤتمر على عبد الناصر إذا أوقفت إذاعة القاهرة هجومها على سياسة العراق فسوف يحاول اقناع نوري السـعيد بالتخلي عن إقامة تحالف مع الدول الغربية ويوقع بدلاً عن ذلك اتفاقية مع بريطانيا مدتها سـبع سـنوات مماثلة للمعاهدة التي أبرمتها مصـر مع بريطانيا، لكن عبد الناصـرلم تكن تسـتميله مثل هذه الوعود الغامضـة، وأدرك بأنه لم يكن لباش أعيان تأثير كبير على نوري السـعيد [15] ولكي يتجنب الحاضـرون فشـل المؤتمر، قرروا في الثلاثين من كانون الثاني إرسال لجنة إلى" نوري السعيد" في بغداد ضمت رئيس الوزراء اللبناني والأردني و وزير الإرشاد القومي المصري صـلاح سالم ووزير الخارجية السـوري..غير أن هذه المحاولة باءت بالفشـل، وكانت كلمات الوداع التي وجهها السعيد إلى سالم:" لستُ جندياً في جيش عبدالناصر، أرجو أن تخبره بأنني لن أطيع أوامره ".

انفض المؤتمر في السادس من شباط دون أن يصـل إلى قرار أو أن ينشـر بلاغاً مشتركاً، وفي اليوم التالي أي في السابع من شهر شباط سقطت حكومة فارس الخوري، فربحت مصـر جولة حاسـمة [3] وكان سـبب سـقوطها هو الموقف المتأرجح لفارس الخوري ووزير خارجيته فيضـي الأتاسـي، وسيطرة حزب الشـعب على السياسـة الخارجية وتذمر كبار ضباط الجيش، وتحرك السياسيين بهدف إسقاط الحكومة، ودور محمود رياض في اسـقاطها الذي نقل إلى بعض الأوسـاط اسـتياء عبد الناصـر من موقف الخوري فقد انسحب وزراء الحزب الوطني من الحكومة فسقطت[14] ثم ما لبث أن تّم قيام تحالف بين حزبي الشـعب والوطني انبثقت عنه وزارة جديدة برئاسـة صـبري العسـلي، وفي الرابع والعشـرين من شـباط تّم إبرام حلف بغداد(المعاهدة الثنائية للتعاون المشـترك)بين العراق وتركيا، وقبل بضـع سـاعات على إبرام هذا الحلف نالت حكومة العســلي الثقة بأغلبية 66 صــوت مقابل55 صــوت أي بأغلبية ثلاثة عشــر صــوتاً أي(امتناع نائبين عن التصــويت)[4]، في الوقت الذي صــادق مجلس النواب العراقي

على الحلف العراقي ـ التركي بأكثرية 112صوتاً ضد أربعة أصوات، وعندما أحيل إلى مجلس الأعيان صوت إلى جانبه25عضواً وخالفه عضواً واحداً، وهكذا تمكن السعيد من عقد الحلف العراقي ـ التركي[5].

إن توقيع التعاون العسكري من قبل العراق مع دولة غير عربية (تركيا) ألغى معاهدة الأمن الجماعي العربي عام 1950م وعرض وحدتها للخطر ولهذا أصبح موضوع إنشاء حلف عربي مشترك أمراً ضرورياً، ولم يجرؤ زعماء حزب الشعب على الوقوف علناً ضد التقارب مع مصر والسعودية فأخذوا يتهمون حكومة العسلي بأنها باقية في السلطة فقط مقابل تقديم تنازلات كبيرة للقوى اليسارية، وأنه خير لهم الإقدام على فصل القسم الشمالي من سورية (مركز قوى حزب الشعب)، وإنشاء "حكومة سورية الحرة" على الأراضي العراقية، ومن ثم العمل على تدخل عسكري عراقي كي لا تصبح سورية بلداً "شيوعياً"، حيث سعى حزب الشعب لإفشال عقد الحلف العربي[12].

وصل صلاح سالم إلى دمشق في السادس والعشرين من شباط، ليوضح للحكومة السورية بأن الحلف المشترك الذي تم التوقيع عليه بين العراق وتركيا يهدف لإدخال تركيا ضمن الدول العربية، واقترح سالم على سورية عقد حلف ثنائي مع مصر وقيادة عسكرية مشتركة وسياسة خارجية موحدة يشبه الاتفاق التركي ـــــ العراقي، ثم يعرض هذا الاتفاق على بقية الدول العربية الأخرى للانضمام إليه [16].

لم تكف الدول الغربية عن محاولاتها لضم سورية إلى الحلف العسكري التركي ـــــ العراقي لوقوع سورية في قلب المشرق العربي، ولان السياسة التي اتبعتها سورية كانت من أهم العقبات على طريق استقطاب الدول العربية للحلف، حيث وضع الغرب وتركيا آمالاً كبيرة على الصراع السياسي في سورية، وعلى موقف حزب الشعب الموالي للغرب، حيث قام سفير الولايات الأمريكية بدمشق في السادس والعشرين من شباط يوم افتتاح المباحثات السورية ـ المصرية بتسليم وزير الخارجية "خالد العظم" مذكرة يطالب فيها الحكومة السورية الانضمام إلى حلف بغداد، وأنها لا تؤيد قرار مصر وسورية والسعودية لعقد حلف ثلاثي، وبأنها ترحب بالمعاهدة التركية العراقية، وتأمل بأن تنضم

إليها دول عربية أخرى كخطوة أولى على تكوين نظام دفاعي فعال في الشرق الأوسط، ووعدت بتطوير القدرة الدفاعية لهذه الدول.

صـرح خالد العظم ردّاً على ذلك أن سـورية ترفض الانضـمام إلى المعاهدة العراقيةـ التركية، وترفض عقد أي تحالف عسكري موجه ضد وحدة الدول العربية[12] واعتبرت بريطانيا أن من واجبها أن تؤيد الميثاق (العراقي ــ التركي) تأييداً كاملاً على الرغم مما يبذله المصـــريون من ضـــغط على العراق، واعتبرت إمكانية نمو الميثاق ليصـبح بمثابة " حلف أطلطني " للشـرق الأوسـط بكامله ، فهنالك أمل أن تنضـم إليه الباكستان التي وقعت في نيسان عام1954اتفاقية دفاع مشترك مع تركيا وكذلك إيران والاردن، وهنالك ســـبب دفع بريطانيا لتأييد هذا الميثاق والاشـــتراك فيه، فالمعاهدة العراقية ـــــ البريطانية التي وقعت عام1930م تنتهي عام1957م وأعربت الحكومة العراقية عن أملها أن تنضم بريطانيا إلى الميثاق[17] ففي الثامن والعشرين من شباط أثناء وجود صلاح سالم بدمشق قامت إسرائيل مستخدمة طائراتها ودباباتها بقصف غزة فقتلت عشـــرات الجنود المصـــريين وألحقت بالممتلكات خســـائر فادحة، حيث هاجم السوريون المؤيدون للعراق مصـر ولاسـيما حزب الشـعب، وقالوا لسـالم:" جئت لتسـاعد سورية في الدفاع عنها، ربما كان من الأفضل لك أن تنظر في أمر الدفاع عن بلادك أولاً"، نظم الجيش السـوري في الأول من آذار اجتماعاً في دمشـق حشـد فيه رئيس الأركان "شـوكت شـقير" ونائبه "عدنان المالكي" عدداً كبيراً من الضـباط والسـياسـيين، وأعلن في هذا الاجتماع أن ســورية وافقت على إقامة حلف كامل مع مصـــر ، وعلى توحيد الجيشين وعلى معارضة للحلف العراقي ـــــ التركي، وجميع الأحلاف الأخرى واقامة تعاون اقتصـادي، حيث وقع الاتفاقية رئيس الوزراء السـوري "صـبري العسـلي" ومن مصـــر صـــلاح ســـالم، ثم قام العظم وســـالم بزيارة مشـــتركة إلى بيروت وعمان والرياض من أجل أن تنضم هذه الدول إلى الاتفاقية السورية ـــــ المصرية، وكما هو متوقع عبرت حكومتا الأردن ولبنان عن تحفـظـهما على الاتفاقـية، وطلبـت مزيداً من الوقت لدراســـة المقترحات[3] أما في الرياض فجاءت الموافقة والترحيب من الملك السـعودي سـعود الذي أظهر ارتياحه لهذا المشـروع العربي، واقترح تسـميته "بالميثاق

الثلاثي" ثم وافق الجميع على هذه التسمية وعرض خلال الاجتماع الذي تّم يوم السبت في الخامس من آذارعام1955م ما اتفق عليه بين الحكومتين السورية والمصرية في البيان المشترك الذي وقعته سورية ومصر في الثاني من آذار عام 1955م، حيث وافق الملك سعود على البيان المشترك، وتّم التوقيع على البيان الثلاثي بعدأن وقع البيان الأمير فيصل بن عبد العزيز بالنيابة عن الحكومة السعودية والعظم نيابة عن الحكومة السورية، وسالم نيابة عن الحكومة المصرية، وبهذا التجاوب السعودي ابتهج سالم بنجاح مهمته أمام الرئيس عبد الناصر[11]، وفي الرابع عشر من شهر آذار توجه خالد العظم على رأس وفد إلى بغداد لتوضيح الأسباب التي حدت بالحكومة إلى قبول مشروع الميثاق الثلاثي، وللتأكيد أن القصد منه دعوة العراق إلى القيام بدوره القومي وليس عزله عن محيطه العربي، وخلال المباحثات التي جرت بين الوفدين السوري والعراقي أكد نوري السعيد أن الاتفاق العراقي ـــ التركي هو تعاون بين جارين محدد بنقطتين[4].

الأولى: حرية عبور الأجهزة والعتاد إلى تركيا عن طريق العراق وبالعكس معفاة من الرسوم الجمركية، أما الثانية: اطلاع تركيا على خطوط الدفاع عن حدود العراق الشرقية وبالعكس[11] وفي ختام المباحثات صدر بيان مشترك أكد فيه الجانبان على ضرورة استمرار التعاون بينهما وتمسكهما بميثاق الجامعة العربية والدفاع والتعاون الاقتصادي المشترك، وبأنه لايوجد تعارض بين هذه المواثيق والميثاق التركي ـــــ العراقي، وأثار التفاهم بين سورية العراق قلق القاهرة، وراح "محمود رياض" السفير المصري بدمشق المعين بتاريخ 26 آذار يحث الحكومة على التوجه نحو القاهرة لإبرام اتفاق مع مصر، وراح الجيش يهدد الحكومة بالقيام بانقلاب عسكري مالم يتم إبرام اتفاق مع مصر[4]

طلب "أنتوني إيدن" رئيس الوزراء البريطاني من مجلس العموم البريطاني في الثلاثين من آذار قائلاً:" لقد كان هدفنا أن نصوغ ارتباطاً جديداً مع العراق، يصل بعلاقاتنا إلى نفس المستوى الذي تقوم فيه علاقاتنا مع تركيا، وأن الاتفاقية التي

توصـــلنا إليها الآن مع حكومة العراق تحقق هذا الهدف، وإنها تقوم على فكرة التعاون بين الشركاء المتساوين" .

اتخذت المعارضة في المناقشة التي جرت في الرابع من نيسان موقفاً لا التزام فيه ولا تقيد، وكان اعتراض المعارضـــة الرئيســـي على الميثاق يتمحور في مدى تأثيره على إسرائيل، ووصـف "إيدن" هذا الميثاق بأنه إذا أتى بضـمانة جديدة للشرق الأوسط فسـتسـتفيد منه إسـرائيل، ولايمكن أن يوصـف أي حلف نشـترك فيه بأنه موجه ضـد إسرائيل، ولم ينقسم المجلس على الموضوع عند التصويت وأصبحت بريطانيا في اليوم التالي بصورة رسمية عضواً في حلف بغداد أي في الخامس من نيسان[17] وانضمت باكسـتان إلى الحلف في حزيران1955م، ثم انضـمت إيران في تشـرين الأول من العام نفسه، وهكذا صار حلف بغداد حقيقة واقعة.

عقد أول اجتماع لدول الحلف الخمس في بغداد بين20ـــ 25 تشرين الثاني عام1955م برئاســة نوري السـعيد، وتقرر فيه إنشــاء أمانة دائمة للحلف مقرها بغداد، واختير العراقي"عوني الخالدي" كأول أمين عام للحلف[18] وبعد قيام ثورة 14تموز في العراق عام1958م انتقل مقر قيادة الحلف من بغداد إلى أنقرة بعد انسـحاب العراق من الحلف بتاريخ24آذار عام1959م، أما مدة سـريان المعاهدة فقد حددتها المادة السـابعة بأنها خمس سنوات قابلة للتجديد مدة مماثلة [19]

شكلت هذه الدول منظمة الصف الشمالي التي فضلها " دالس" ـــــــ وزير الخارجية الأمريكي .... على منظمة الدفاع الإقليمية كوسيلة للوقوف في وجه السوفييت، ومع أنها لم تضم سوى دولة عربية واحدة فقد كانت مصدر إزعاج كبير لعبد الناصر، ولأنها أفسدت عليه خطته في إيجاد جبهة عربية محايدة[20] كما لم تنضم بريطانيا إلى حلف بغداد إلا بعد توقيع اتفاقية ثنائية بينها وبين العراق في نيسـان عام 1955م، ولم يكن العراق بحاجة إلى الارتباط بمثل هذه الاتفاقية لأن مدة معاهدة 1930م قد انتهت فعلاً فمنح بريطانيا امتيازات جديدة تم بدون مقابل، وبمقتضـــى الاتفاقية الثنائية الجديدة تحتفظ بريطانيا بمدربين وخبراء في قاعدتي الشعيبة والحبانية ويتبع هؤلاء لقائد بريطاني يكون حلقة اتصـــال مع القوات العراقية، ومنحت الاتفاقية الطيران البريطاني

تسهيلات للمرور في الأجـــواء العــراقية،ومنحت الأسطول البريطاني تسهيلات في استخدام شط العرب، على أن يتبادل الطرفان المعلومات بقصد الدفاع عن الأراضي العراقية[1] ثم ما لبثت أن جلت طائرات الســـلاح الجو البريطانية عن قاعدة الحبانية بموجب تعديلات المعاهدة البريطانية ـــــــ العراقية، واقلعت الطائرات المقاتلة باتجاه قبرص، ثم حولت اتجاهها في الجو وعادت ثانية إلى مطار الحبانية بموجب اتفاقية حلف بغداد[3] ومنذ انضمام بريطانيا إلى الحلف بدأت بالضغط على سورية من أجل أن تنضم للحلف، حيث مارست ضغوطها تحت مسمى(تقوية حلف بغداد) أو(إنقاذ سورية من النفوذ المصري ـ السعودي) أو(التدخل الشيوعي)، وأثار التدخل البريطاني إرتياح ولي العهد العراقي والوصـــي على العرش عبد الإله [13] وتوهمت بريطانيا بعد انضـــمامها للحلف بأنها أخذت زمام المبادرة من الولايات المتحدة التي كانت تفضـــل إكمال الحزام الشمالي، وإرغام الدول العربية للسير وراء مخططات السعيد والوصـــي على العرش عبدالإله، لجر البلدان العربية تدريجياً للانضـــمام للحلف، وأدى ذلك إلى اصطدامها مع مصر على الرغم من أنه لم يمض على توقيع معاهدة الجلاء أقل من عام، فقد زادها حرجاً عدم تمكنها من كسب فرنسا إلى جانب الحلف، لأن فرنسا كانت ترى أن لها الأفضلية بالنفوذ في سورية ولبنان، كما فقدت صداقتها مع السعودية فأخذت تنازعها على واحة البريمي باسم إمارة أبوظبي[10]، وفي تقرير سري للغاية مرفوع من وزير الخارجية البريطاني"هارولد ماكميلان" إلى رئيس الحكومة "أنتوني إيدن" حول حلف بغداد بتاريخ 25 تشرين الثاني عام1955م انتقد السياسة السعودية بقوله:" إن الوضـــع في الشـــرق الأوسـط يتعرض للنسـف والإفسـاد بواسـطة المال السعودي، وليس من قبيل المبالغة القول أن الأموال الأمريكية (آرامكو) نحو100مليون دولار سنوياً تنفق للترويج للشيوعية في الشرق الأوسط " حيث ناشد "نوري السعيد" بإيقاف مدفوعات آرامكو للسعودية ولو لمدة ستة أشهر وأنه إذا تيسر ذلك ستتغير الأوضاع في سورية ولبنان والأردن وحتى في مصر[21].

ومن جانب آخر لم تنضـــم الولايات المتحدة إلى الحلف بصـــورة كاملة بل اقتصـــرت مشاركتها على الانضمام إلى عضوية اللجنتين الاقتصادية والعسكرية التابعتين للحلف

واســـتمر ذلك حتى عام1959م، وبعد الثورة العراقية عام1958م أصـــبحت الولايات المتحدة عضـــواً كامل العضـــوية في الحلف[19] أما العراق فبعد أن أثبت ودّه للغرب وأعلن معاداته للشـــيوعية راح الغرب يدعمه مجاناً وبلا قيد أو شـــرط بما يحتاجه من سلاح وعتاد ووسائل فنية لتقوية جيشه وشرطته، ويجعله في أعلى مستوى بين الجيوش العربية، حيث بدأ أسم العراق يرتفع في الأوساط الدولية وبدأ يستلم الدبابات الانكليزية النادرة الموجودة في أرقى الجيوش الأوروبية والمدافع الحديثة و وسائط النقل، بالإضافة إلى الدعاية الواســعة للعراق باعتباره الدولة المتقدمة والقائمة بتحقيق العدل الاجتماعي وترفيه الطبقات الفقيرة من حيث السكن والصـحة والتعليم دون أن يكلفه ذلك شـيئاً من المال، كما سـلمت بريطانيا العراق ألفي سـيارة شـحن وركوب جديدة تسـاوي قيمتها مليوني جنيه استرليني، وحصلت الشرطة العراقية على سيارات الجيب وأجهزة لا سلكية ومعدات مدفعية مجاناً، ناهيك عن الدبابات الأمريكية التي قدمتها للجيش العراقي[22] و كانت الدوافع التي أملت على الدول الغربية أن تتبنى هذا المشـــروع ترتبط بالقيمة الاســـتراتيجية للمنطقة من الناحية العســـكرية والاقتصـــادية باعتباره أكبر مركز لإحتياطات البترول في العالم[19]

الخاتمة

كان لحلف بغداد تأثير عميق في السـياسـة العربية فهذا الحلف كان سـلاح عسـكري موجه ضـد الاتحاد السـوفياتي ومن جهة أخرى أداة سـياسـية لبريطانيا في الوطن العربي، لقد ولد الحلف مشـــلولاً منذ البداية بالتناقضـــات الأمريكية البريطانية ليتحطم فيما بعد على صخرة التناقض المصري العراقي.

كان لسـورية الصـوت الحاسـم في مسـتقبل الحلف فلو قبلت بالحلف لتبعتها دول عربية أخرى، ولكن لموقف سورية الرافض للحلف أدى إلى تجميده.

مما تقدم يتأكد كم كانت فترة منتصف الخمسينيات من القرن الماضي منعطفاً خطيراً في تاريخ الشـــرق الأوســـط والمنطقة العربية، ويتضـــح أن القراءة القاصـــرة للمعطيات والحقائق السـياسـية لدى قوى الاسـتعمار القديم أسـهمت في تغيير شـكل

معادلات الصراع الدولي لصالح الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، ويتضح أيضاً كيف أن القراءة العربية كانت في بعض الأحيان خاطئة للعديد من المواقف الدولية، والكثير مما تعاني منه المنطقة العربية من حصاد تلك القناعات والحسابات الخاطئة ومن دون مراجعة موضوعية ملتزمة.

المصادر و المراجع :

1ـ العقاد صلاح،**1966ـــ المشرق العربي1945ـــ 1958(العراق، سورية، لبنان)**، مطبعة الرسالة، القاهرة، ص72،71،68،65

2ـ المدني سليمان، **1998ـ الملف العربي في القرن العشرين**، ط1، المنارة، بيروت، ج5، ص251

3ـــ سيل باتريك، **1968ـــ الصراع على سورية1945ـــ 1958م**، ترجمه سميرعبده محمود فلاحة، دار الأنوار، بيروت، ص299،293،286،285،269،250،249

4ـــــ بشور أمل ميخائيل، (د.ت) **ـــــ دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر**، جروس بروس، (د.م)، ص291، 305،304،302،301

5ـ الجبوري خالدة أبلال، **2012ـ الأبعاد السياسية للحكم الهاشمي1941ـ 1958**، ط1، محاكاة للنشر، دمشق، ص251،248

6ـــ ناتنج انتوني، **1993ـــ ناصر**، ترجمه شاكر ابراهيم سعيد، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص108، 109، 116،111،110

7ـــ الحسون حسام، **2011ـ الوحدة السورية المصرية وأسباب الانفصال**، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، ص46،45

8ـــ سالم لطيفة محمد،**1996ـــ أزمة السويس جذورـــ أحداث ـــ نتائج 1954ـــ 1957م**، (د.د)، الاسكندرية، ص18، 19

9ـ لبيب فوميل، **1956ـ مجلة المصور**، العدد1666، ص45

10ـــ عبد الكريم أحمد، **1994ـــ حصاد سنين خصبة وثمار مرة**، ط1، بيسان للنشر، بيروت، ص265، 266، 274،271،270

11ـــــ النونو مطيع، **2004ـــ من اغتال الوحدة المصرية السورية**، ط1،عويدات للنشر، بيروت، ص260،254،244، 261، 266، 269

12ـــ بوداغوفا بيير ،**1987ـ الصراع في سورية لتدعيم الاستقلال الوطني1945ـ 1966**،ترجمه ماجدعلاءالدين أنيس المتني،ط1،دارالمعرفة، دمشق، ص92،91،87

13ـــــ أبوعزة محمد، 1998 ـــــ **الانقلابات العسكرية في سورية**، ط1، المنارة، بيروت، ص245، 247

14ـ طلاس مصطفى، **1991ـ مرآة حياتي العقد الأول 1948ـ 1958**، ط2، دار طلاس، دمشق، ص458

15ـــ باش أعيان أحمد برهان الدين، **برهان الدين باشا أعيان حياته وعصره**، ط1، دار الساقي، بيروت، ص312

16ـــ المدني سليمان، **1996ـــ هؤلاء حكموا سورية 1918ـــ 1970**، ط2، دار الأنوار، دمشق، ص97

17ـ إيدن أنتوني، **1959ـ مذكرات السير أنتوني إيدن من مرحلة 1951ـ1957**، ترجمه خيري حماد، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، ص316، 320

18ـ المنسي محمود صالح،**1990ـ الشرق العربي المعاصر الهلال الخصيب**، ط1، الصقر للتوزيع و النشر، بيروت، ص95

19ـــــ شكري محمد عزيز،**1978ـــــ مجلة عالم المعرفة (الأحلاف والتكتلات في السياسة العامة)**، العدد السابع، الكويت، ص49، 50، 51

20ـــ كوبلاند مايلز، **1970ـــ لعبة الأمم**، ترجمه مروان خير، ط1، مكتبة الزيتونة، بيروت، ص173

21ـ أبوشقرا إياد، **2007ـ جريدة الشرق الأوسط**، حزيران العدد10428

22ـــــ السويدي توفيق،**1999ـــــ مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية**، ط2، دار الحكمة، بيروت، ص49